obeikandl.com

الباب الثانى

تاريخ العلاج بالنباتات والأعشاب

obeikandl.com

مراحل تطور العلاج بالأعشاب

مرت البشرية بمراحل متعددة سيطرت فيها أساليب الطب المختلفة واستخدمت العقاقير العديدة للسيطرة على الأمراض، بدءا من الأعشاب الطبية ونهاية بالمستخلصات الكيمائية المعقدة،التي لم تعد أضرارها الجانبية تخفى على أحد وقد كان العلاج بالأعشاب قديما يحل محل صيدليات اليوم،ولكن هل حقا أغنت صيدليات اليوم عن اللجوء إلى الأعشاب الطبية وهل صيدليات اليوم قادرة على شفائنا تماما بالمستحضرات الكيميائية إذا وقع أحدنا فريسة للمرض؟ وما هي نسبة الأمان في استخدام الأدوية الكيميائية الحديثة؟

لقد كان من المتوقع أن يتراجع المرض أمام الثورة الصناعية الكاسحة التي شهدها العالم في الخمسين سنة الأخيرة، لكن العكس تماما هو الذي حدث فقد عرف الإنسان الحديث أمراضا فتاكة لم تكن معروفة أو منتشرة بهذا الشكل من قبل، والإحصائيات التي تمت عام ١٩٩٧م في الولايات المتحدة أظهرت أنه في عام ١٩٩٥م أفرط حوالي ٦ مليون أمريكي في تناول العقاقير التي وصفها لهم الأطباء لعلاج حالات القلق مما تسبب في إدمان غالبيتهم لهذه الأدوية.

وفى سنة ١٩٩٧م تم حجز أكثر من اثنين مليون أمريكي في الأقسام المختلفة بالمستشفيات نتيجة الأضرار الجانبية للأدوية الكيمائية.

والإحصائيات العالمية تؤكد أن الأضرار التي يسببها سوء استخدام الأدوية الكيميائية الموصوفة للمرضى السبب الرابع للوفاة بعد أمراض القلب، والسرطان، وجلطة المخ.

إذا ستظل النباتات والأعشاب الطبية رحمة كبرى إذا ما قورنت بالأدوية الكيميائية والتي تشبه إلى حد كبير سكينا ذو حدين يقطع هنا ويخرب هناك وهذه الأدوية الكيميائية تنكشف جوانبها السلبية المظلمة يوما بعد يوم.

فالنباتات الطبية عرفها الإنسان بالتجربة، واهتدى إلى علاج أمراضه بواسطتها عن طريق التجربة أيضاً واستخدمتها شعوب العالم قاطبة المتحضرة منها والبدائية، فطب الأعشاب هو أقدم شكل معروف من الطب وقد استخدم أكثر من ٥٠ % من سكان الأرض الأعشاب في معالجة أمراضهم، ولا تزال الأعشاب الطبية هي العلاج الأساسي للكثير من الشعوب حتى وقتنا الحاضر.

إن التداوي بالأعشاب هو مستقبل العالم العلاجي، وهو الدواء المفيد المأمون لأمراض الإنسان والحيوان في كل مكان وزمان فالنباتات هي زرع الله الشافي وقد استخدمتها الحضارات البشرية عبر التاريخ.

الحضارة المصرية الفرعونية القديمة:

اهتم الفراعنة بالأعشاب وهذا ما نجده مسجلا في برديا تهم منذ أكثر

من ٥٠٠٠ سنة فنجدهم استخدموا الثوم والبصل والعرعر لمعالجة الكثير من الأمراض، ونجد نبات القنب في عصر رمسيس الثالث قد استخدم بشكل كبير لعلاج مشكلات العين بينما استخدمت خلاصات الخشخاش لتهدئة الأطفال الباكين ووجدت وصفات لعلاج العديد من الأمراض في العديد من البرديات مثل بردية هيرمس وبردية أرون سميث الطبية وفى عام ١٨٧٤م اكتشفت أهم بردية طبية في العالم، اكتشفها عالم المصريات الألماني جورج أيبرس وتعد أقدم وثيقة طبية، ويبلغ طولها ٦٥ قدما ويرجع تاريخها إلى ١٥٠٠ سنة قبل الميلاد ووجد بالبردية ٨٧٦ تركيبة عشبية من أكثر من ٥٠٠ نبات، منها الصبار والكراوية والخروع والقرفة والبابونج والثوم والزنجبيل والشمر والنعناع والمر والبصل والخشخاش والمرمرية والسمسم والزعتر وغير ذلك.

الحضارة الصينية القديمة:

من المعروف أن الأب الروحي للطب الصيني هو الامبراطور الأصفر الذي عاش سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد، وكان للأعشاب اهتماما خاصا من جانب المعالجين الطبيعيين في ذلك الوقت وأول كتاب طبي صيني في الأعشاب الطبية كان سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد Classic of Materia Medica الذي وضعه العالم الصيني شن نونج في القرن الأول الميلادي

واحتوى على لائحة من ٣٦٥ دواء علاجيا ٩٠% منها من أصل نباتي، أما الآن فالصين لديها أكبر قائمة نباتات طبية في العالم وتضم ٥٨٠٠ نبات طبي.

الحضارة الهندية القديمة:

ركزت مدرسة الطب الهندي القديم الأيروفيدا Ayurveda على الأعشاب بصورة واضحة وضمت كتبهم القديمة أكثر من ٢٥٠٠ نبات طبي مصنفة حسب تأثيرها على الجسم وعلى الأمراض المختلفة، وتعد مدرسة الأيروفيدا من المدارس المتميزة في مجال الأعشاب الطبية.

الحضارة اليونانية:

نبغت الحضارة اليونانية القديمة في مجال التداوى بالأعشاب وثبت أن هذا النبوغ كان يرجع إلى التلاحم بين الحضارة المصرية القديمة والحضارة اليونانية وفي زمن أبقراط ٣٧٧ ق. م كان التقليد الأوروبي قد تشرب أفكارا من آشور والهند ومصر القديمة وكانت الأعشاب الشرقية مثل الحبق والزنجبيل من أكثر الأعشاب استخداما لديهم.

وقد ذكر أبوقراط أكثر من ٣٥٠ نباتا طبيا في كتابه Corpus Hippocraticum منها القرنفل والقرفة والأرقطيون وقد كتب دسقوريديس طبيب أنطونيو وكليوباترا كتابه في المواد الطبية De Materia Medica سنة ٦٠ ميلادية وتناول فيه حوالي ٦٠٠ نبات

طبي وقد بقى الكتاب الطبي القياسي لمدة ١٥٠٠.

الحضارة الإسلامية:

لم يكن للعرب باع في مجال الأعشاب الطبية قبل الإسلام، ولكن عندما جاء الإسلام أمر النبي ﷺ بالتداوي ووضع له ضوابطه ووصف أعشابا طبية لبعض الأمراض وحث على طلب العلم في هذا المجال وفي المجالات الأخرى ومع سقوط روما في القرن الخامس الميلادي انتقلت مراكز المعرفة إلى الشرق، وقد تبنى المسلمون والعرب بكثير من الحماس مذهب جالينوس الطبي ودمجوه بالمعرفة الطبية المصرية والعربية والأشورية، فعادت النهضة العلمية للعرب ونشط ذلك في العصر العباسي فأنشئت دار الحكمة في بغداد وظهر حي العشابين وكانوا يطلقون على باعة الأعشاب في ذلك الوقت كلمة صيدلانى، ويرجع الفضل للعرب في تأسيس علم الصيدلة وفتح أول صيدلية في التاريخ وكان ذلك في أول القرن الثامن الميلادي.

ومن أهم كتب الطب العربية التي ظهرت في عصر النهضة القانون لابن سينا، والذي سجل فيه المؤلف أكثر من سبعمائة نوع من الأدوية المستخرجة من الأعشاب، وقد ترجم الكتاب إلى اللاتينية ليصبح أحد أهم الكتب الدراسية الرئيسية في كليات الطب الغربية.

وجاء من بعد ابن سينا الرازي الذي لقب بحكيم عصره، وابن البيطار

والذي لقب بأبي النبات العربي وليس هناك أشهر من كتابه الجامع للأدوية المفردة والذي ذكر فيه أكثر من ١٨٠٠ نبات مع رسومها التي رسمها له رسامه الخاص في ذلك الوقت وكذلك أبو على يحيى بن جزلة الذي وضع أول قاموس عن الأعشاب الطبية في كتابه المنهاج ومن أطباء العرب المشهورين أيضا أبو القاسم بن عباس الذي توفي عام ١٠١٣ ميلادية في الأندلس، وعد كتابه المفردات مصدرا مهما لكتب الأعشاب الطبية الأوربية بعد ذلك وكذلك ظهر العلامة داوود الأنطاكي ومرجعه الفريد في الأعشاب الطبية تذكرة داوود.

العصر الحديث:

بينت دراسة أعدها خبراء من منظمة الصحة العالمية حول طب الأعشاب أن اللجوء للنباتات والأعشاب الطبية في العلاج سيوفر بدائل رخيصة الثمن لأدوية مصنعة باهظة الثمن تكلف ميزانيات الصحة الكثير.

وأنه يمكن دمج الأدوية العشبية مع الأدوية الكيميائية المصنعة ليتسنى الاستفادة من الجوانب الإيجابية من كلا النوعين من العلاج، وبذلك تتوفر لدينا أدوية مأمونة رخيصة الثمن تفيد في مقاومة وعلاج الكثير من الأمراض المزمنة، كما هو الحال في النموذج الصيني والهندي، لذلك عقدت الكثير من المؤتمرات العالمية ولكن أهمها كان مؤتمر ماستريخت بهولندا الذي كان تحت رعاية منظمة الصحة العالمية وحضره ممثلون

لأكثر من ١٠٠ دولة وصدرت عدة توصيات لهذا المؤتمر كان من أهمها:

١ ـ حث منظمة الصحة العالمية لوضع دستور عالمي تشترك فيه الدول المشاركة لجمع مواصفات وخصائص النباتات والأعشاب العلاجية.

٢ ـ إنشاء المعاهد والكليات المتخصصة لتدريس طب الأعشاب الطبية ومنح الدارسين درجات علمية مختلفة.

٣ ـ وضع مقررات تجمع بين التعليم الصيدلي والطبي وطب الأعشاب كما هو متبع في اليابان والصين والهند.

وقدرت منظمة الصحة العالمية أن أعشاب العلاج هي الأدوية الأولية لحوالي ثلثي سكان العالم أي حوالي ٤ مليار شخص.

وتدل الإحصائيات على أن ٢٥ % من كل وصفات العلاج في الولايات المتحدة تحتوى على مواد فعالة ذات أصل نباتي، وفى سنة ٢٠٠٣م بلغت صناعة طب الأعشاب في أمريكا وحدها ثلاثة مليارات دولار.

وحديثا أصبح الاتجاه إلى التداوى بالأعشاب الطبية صيحة تطلقها المعاهد العلمية في البلاد المتقدمة هربا من الآثار السمية المدمرة للكيمائيات الدوائية، فنجد في بلاد الشرق الصين والهند على رأس الدول الشرقية التي اهتمت وما زالت تهتم بطب الأعشاب وتوجد له كليات تدرسه وتخرج أطباء وصيادلة متخصصين في العلاج بالأعشاب الطبية، وفي الغرب نجد أن ألمانيا هي أكثر الدول الأوربية اهتماماً بالأعشاب

الطبية ويوجد بها أكثر من ٣٥٠٠ دواء عشبي تصرف للمرضى من الصيدليات وتليها فرنسا وانجلترا والولايات المتحدة الأمريكية التي يوجد بها أكثر من ٢٠٠٠ دواء عشبي، وكذلك كندا واستراليا وكل هذه البلاد بها كليات ومعاهد تدرس هذا العلم، واتحادات وهيئات على أعلي مستوى لتنظيم مهنة التداوى باستخدام الأعشاب الطبية

طب الأعشاب عند العرب

قال سينوبوس إن المسلمين استعملوا جميع أنواع الزراعة، وحملوا كثيراً من النباتات إلى صقلية وأسبانيا وزرعوها في أوروبا، فأحسنوا تربيتها حتى تظنها متوطنة، ومثل ذلك الأرز والزعفران والعنب والمشمش والبرتقال والنخل والهليون والبطيخ الأصفر، والياسمين والقطن والقصب وكان للعرب الفضل في الصيدلة عن الطب، على أن يلم الصيدلي بعلوم الطب، وأن يلم الطبيب بعلوم الصيدلة إذ قال الرازي في كتابه الحاوى إن الصيدلة ليست من صنعة الطبيب، بل لها شخص خاص بها وإن الصيدلة صناعة خادمة للطب ولا يستطيع إلا القليل من الأطباء الحذاق أن يعرفوا تفاصيل الصيدلة والصناعات الأخرى الخادمة للطب وفي كتابها شمس العرب تسطع على الغرب تقول سجريد هونكه لقد فضل العرب محضر الدواء الصيدلي عن واصفه الطبيب وأوجدوا مهنة الصيدلاني الذي ارتفع إلى مركز عال بفضل علومه ومسئوليته الخاصة

ويقول ول ديورانت في كتابه قصة الحضارة كان المسلمون أول من أنشأ مخازن الأدوية وأن الفضل يعود للعرب والمسلمين في تأسيس أول مدرسة للصيدلة ووضع المؤلفات الممتعة فيها .

أصول وقواعد التداوي بالأعشاب الطبية:

يشتكي بعض المرضى من أنهم استعملوا بعض الأدوية العشبية، ولكن نتائجها لم تكن مشجعة، لذا يجب توضيح عدة نقاط مهمة للمرضى والمهتمين بالأعشاب الطبية وهي:

١ ـ أولا يجب تشخيص المرض بدقة معتمدين في ذلك على التقدم الكبير في مجال التشخيص الطبي الحديث حيث أن نجاح العلاج يعتمد أساسا على دقة التشخيص.

٢ ـ أما بالنسبة للدواء فيجب أن تحدد أنواع الأعشاب المستخدمة وكميتها وجرعتها ووقت استخدامها بدقة، وعدم تداخلها وتضادها، معتمدين في ذلك على الطبيب أو أخصائي العلاج بالأعشاب الدارس والمتخصص في هذا العلم ويجب أن نعرف أن التداخل والتضاد في تأثير الأعشاب الطبية لا يعرفه إلا أخصائي العلاج بالأعشاب الطبية.

٣ ـ بخصوص مادة الدواء وهي الأعشاب الطبية فيجب أن تراعى النقاط التالية عند تحضير الدواء العشبي:

ـ أن تكون الأعشاب قد زرعت في موسمها وفي بيئتها المناسبة بعيدا عن

التلوث البيئي بأن تكون بعيدة عن مصانع البتروكيماويات وغيرها من المصانع الملوثة للبيئة المحيطة وبدون استخدام أي كيماويات نستخدم الزراعة الحيوية فقط ونلاحظ أنه يوجد في البلاد الأوروبية متخصصين في زراعة النباتات الطبية نظرا لأهمية ذلك.

ـ لا يتم حصاد النبات إلا عند اكتمال النضج ووصول المواد الفعالة في الأجزاء المختلفة من النبات إلى أقصى تركيز لها وعندما يكون الجزء المطلوب من النبتة في أوج حيويته وقد يساء إلى هذه النباتات الحيوية أثناء عملية الجمع والتجفيف والتخزين فتفقد العشبة بعض أو كل المواد الفعالة مما يؤثر على قدرتها العلاجية.

فالزهور مثلا تجمع في الصباح الباكر بعد أن تجف قطرات الندى حيث تكون في أوج نضارتها الأوراق والسيقان تجمع غالبا بعد الظهر حيث تكون قد تشبعت من أشعة الشمس وازداد محتواها من المواد الفعالة.

وأما الجذور فتجمع غالبا في فصلي الربيع والخريف حيث يكتمل نضجها في ذلك الوقت وتكون غنية بالمواد الفعالة.

٤ ـ عملية التجفيف تعد من أهم العمليات التي تؤثر على المواد الفعالة في النبتة وعموما نستخدم أشعة الشمس غير المباشرة في التجفيف وحديثا وجدت الأفران الكهربية المخصصة لهذا الغرض

٥ ـ التخزين يعد من أسس علم الأعشاب ويجب مراعاة قواعده بكل دقة لتفادى فساد النبات وتكون الفطريات وفقدان المواد الفعالة، وفى حالة

التخزين الجيد تظل النبتة الجافة محافظة على ما تحويه من مواد فعالة لمدة سنة إلى سنتين.

٦ ـ صناعيا تقوم الشركات الكبرى والمتخصصة في تصنيع وتعبئة النباتات الطبية بقياس المواد الفعالة بكل دقة في كل نبات على حدة قبل عملية البيع للجمهور.

لذا فالتأثير العلاجي للنباتات الطبية يعتمد كما ذكرنا على التشخيص الجيد والعلاج المناسب فإذا اجتمع الاثنان ووافق الداء الدواء برأ المريض ـ

تأثير الأعشاب الطبية على الجسم:

توجد الكثير من التأثيرات الطبية المهمة للأعشاب على الجسم سنذكر بعضها على سبيل المثال:

١ ـ التحفيز: ويقصد به تحفيز جهاز المناعة بالإضافة إلى القوة الحيوية الطبيعية في الجسم لمقاومة المرض، ومثال على ذلك الثوم والبصل والحبة السوداء والزنجبيل والجنسنج.

٢ ـ تنقية الدم: وهذا يحتل أهمية فائقة عند المعالجين بالأعشاب حيث إن تنقية الدم ومعادلة الحامضية الفائضة يؤدى إلى انحسار أسباب المرض وبذلك تزول الأعراض ومثال ذلك الهندباء البرية والأخناسيا والسفراس.

obeikandl.com

٣ ـ التهدئة: وتعطى عندما يكون المريض بحالة عصبية وقلقة وحساس بالشكل الذي يعرقل عملية التغلب على المرض مثل: جذر الكمفرى، والبابونج.

٤ ـ التنشيط: ويقصد به بناء طاقة الجسم خصوصا للضعفاء والمرهقين وتستعمل غالبا في حالات الأمراض المزمنة والمنهكة أو في فترة النقاهة من الأمراض الحادة مثل الجانسنج والبقدونس والشطة.

٥ ـ إدرار السوائل: ويقصد به موازنة كميات السوائل في الجسم وبالخصوص الماء الذي يشكل معظمها، مثل شواشي الذرة وعنب الديب والبقدونس.

٦ ـ التعريق: ويقصد به إخراج العرق من مسامات الجلد لمعالجة الأمراض الجلدية ومعالجة البرد ومثال على ذلك الزنجبيل الفلفل، القرفة والبابونج.

٧ ـ التقيؤ: ويقصد به إخراج ما بالمعدة عند الإحساس بالغثيان أو في حالات التسمم ومثال على ذلك نبات اللوبيليا.

٨ ـ إطلاق البطن: ويقصد به إخراج الفضلات المجتمعة في الجهاز الهضمى لتفادي امتصاص السموم من الفضلات الموجودة في الأمعاء إلى الدم كما في حالات الإمساك ومثال على ذلك الصبار والكسكرة والسنامكى وعرق السوس.

٩ ـ مضادات الميكروبات: ويقصد بها مضادات البكتريا والفيروسات

والفطريات وتستخدم للمساعدة على علاج الأمراض التي تسببها الميكروبات السابقة مثل الثوم والعرقسوس.

التداوى بالأعشاب بين الموروث الشعبي والدراسات الطبية

التداوي بالأعشاب أو مايسمى بطب العطارين ظاهرة تنتشر بشكل متفاوت ونسبي في الأوساط الاجتماعية وترتبط بالثقافة الطبية السائدة في المجتمع حيث تنحسر في المجتمعات الأكثر تعليماً والتي تتوافر فيها بنية متطورة للخدمات الصحية بينما يزداد رواجاً عند غياب البديل الطبي وتعتمد هذه الطريقة على توفر النباتات الطبية التي يحمل العديد منها مواد فعالة وطبيعية وتنمو تلقائياً أو محصولياً أو شجيرياً أشار خبير الأعشاب سليم الحميدي من السعودية إلى انتشار آلاف الأصناف من النباتات الطبية في منطقته منها أكثر من ١٠٠ نوع متداولة ومعروفة لافتاً إلى أن جو المنطقة النقي انعكس إيجاباً على هذه النباتات مما جعلها في الطليعة من حيث الجودة والنظافة .

ويعود تاريخ طب الأعشاب إلى العصور الأولى من التاريخ حيث دلت بعض المخطوطات على أن الكهنة الفراعنة كان لديهم معلومات كثيرة عن أسرار الأعشاب والتداوي بها وكذلك اثبتت بعض الكتابات أن قدماء الهنود مارسوا هذه المهنة ليأتي بعدهم حكماء اليونان الذين وضعوا

المؤلفات عن التداوي بالأعشاب في القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد لتظل هذه المؤلفات المصدر الأساسي لهذا العلم وتوسع العرب وفي مقدمتهم الرازي وابن سينا في هذا العلم بتجارب جديدة وبعد فتح الاندلس انتشر طب الأعشاب حيث زود العرب أوروبا بالكثير من المعلومات عن أعشاب الشرق وكيفية التداوي بها .

obeikandl.com